واقع التراث المعماري الفلسطيني بين التدمير والتزوير دراسةعن الحمامات في مدينة نابلس (خصائصها وكيفية ترميمها وطرق الحفاظ عليه)

إعداد:
د. حسن نعيرات.
عميد كلية الفنون
جامعة النجاح الوطنية
نابلس - فلسطين
بريد الكتروني: fhasan_157@yahoo.com

ملخص:

إن الهدف من وراء هذه الدراسة هو تقصي خصائص التراث والزخرفة المعمارية في حمامات البلدة القديمة من مدينة نابلس وبيان ما يتهددها من عوامل الاندثار وطرق الحفاظ عليها باعتبارها جزءاً مهماً من الإرث الحضاري الذي توارثناه عن الأباء والأجداد بطرق وتقنيات حديثة معاصرة، حيث يعتبر التراث الفلسطيني المادي مصدر فخر واعتزاز للأمم ودليلاً على عراقتها وأصالتها، ومعبراً عن الهوية الوطنية لها، وهمزة وصل بين الماضي والحاضر حيث تعرض وما يزال يتعرض للتدمير والسرقة مما يؤدي إلى الاندثار والضياع.

إن الأخطار التي تتهدد التراث المادي والزخرفة والعمارة الفلسطينية بشكل عام وبشكل خاص، ناتجة عن الآثار الطبيعية إضافة إلى عمل الإنسان نفسه، وجراء عمليات الهدم والإهمال وسوء الاستخدام مما ألحق أضراراً بالغة بالتراث، ويعتبر الاحتلال الإسرائيلي من أخطر العوامل التي ساهمت في عمليات طمس معالم التراث الفلسطيني بتدمير العديد من مراكز المدن القديمة كما حصل في مدينة نابلس عندما اجتاحتها قوات الاحتلال مستخدمة جميع أنواع الأسلحة من دبابات وطائرات وغير ذلك حيث دمرت معظم المباني التاريخية الأثرية في البلدة القديمة بما فيها الحمامات.

وبالرغم من الاهتمام بالتراث على المستوى العالمي لحمايته، والذي قاد إلى إقامة مؤسسات دولية ووطنية تتولى الاهتمام بالتراث وحمايته إلا أن هذا الاهتمام لم ياخذ مجراه الصحيح في فلسطين بسبب العراقيل الموضوعة من قبل الجانب الإسرائيلي وضعف التأثير الدولي على الموقف الإسرائيلي، وقد أظهرت من خلال هذه الدراسة سوء حالة التراث المعماري الفلسطيني بما فيها الحمامات، وذلك بسبب الافتقار إلى خطط وبرامج وسياسات تنموية إضافة إلى عدم وجود قانون فلسطيني يحمي التراث من العبث وضعف الوعي العام للفرد والمؤسسة، لذا لا بد من اتخاذ إجراءات

سريعة وحاسمة لوقف هذا التدهور والحد منه أو محاولة توفير الدعم المادي والفني لحماية هذا التراث الحضاري الذي يجب أن ياخذ مكانة بارزة بين الوان التراث الأخرى، ومن المؤكد أن بعض هذا الإرث من الحمامات هوالوليد الشرعي للنشاطات المحلية لأهل البلدة القديمة التي تتجلى فيها البصمات الفنية والجمالية الفلسطينية في هذه المدينة التي أسسها الكنعانيين قرابة 4000 سنة قبل الميلاد واطلقوا عليها اسم (شكيم) بمعنى الأرض المرتفعة وقد أطلق على المدينة لقب (دمشق الصغرى) لتشابه عادات أهل المدينة مع عادات أهل دمشق وهناك عدة مواقع تاريخية وأثرية ففيها مقدسات إسلامية ومسيحية ويهودية وحمامات يؤمها الزوار والسياح حتى اليوم.

وقد أرخت البلدة القديمة تاريخ نابلس العريق بعمارتها الجميلة وبواجهاتها الحجرية وأزقتها الضيقة ، وحماماتها المتميزة، ويسكن البلدة القديمة في الوقت الحاضر حوالي 20.000 نسمة وتحوي على كنيستين وإثني عشرة مسجداً وكنيساً سامرياً بالإضافة إلى بعض الزوايا والتكايا التي تقام بها الشعائر الدينية الخاصة ،وسأتنال في هذه الدراسة تحليل عدد من المسائل المهمة ذات الصلة بهذا الإرث منها جذور هذه البلدة القديمة (نابلس) نشأة هذه الحمامات، عمارتها، زخرفتها الداخلية، أدواتها، عددها، استخداماتها، كيف كانت الطقوس التي تقام بها أثناء عملية الاستحمام للعريسين بما فيها الأغاني والأهازيج التي كانت تردد أثناء تلك المناسبات وسأذيل البحث بنتائج وتوصيات للحد من أسباب اندثارها وكيفية الحفاظ على ما تبقى منها وذلك بالترميم بتقنيات حديثة ومعاصرة تحفظها من الاندثار، إن إندثارها يعني ضياع

للتاريخ والهوية الفلسطينية وتثبيت مقولة اليهود إن فلسطين أرض بلا شعب لأن أي شعب بدون ماض وتاريخ ليس له وجود، وإن التراث المعماري والفني لهذه الحمامات لهو أقوى دليل على وجود الإنسان الفلسطيني في أرضه

Abstract

The primary objective of this study is twofold: to investigate the qualities of heritage and architectural decoration of bathrooms in the old city of Nablus; and the threatening factors of their extinction and the methods of preserving them from such extinction on the ground that they represent an essential part of the cultural heritage which we have inherited from our parents and grandparents through various contemporary and modern techniques. It is important to note that the Palestinian material heritage is a real source of pride for nations' originality and authenticity; it is also an expression of the national identity of such nation; and it is a genuine link between the past and the present , in spite of the fact that such heritage is so exposed and subject to destruction and theft which ultimately lead to extinction and total loss.

By and large, the perils which threaten the material heritage, decoration, and the Palestinian architecture are the result of natural effects in addition to the works of man himself. As a result of acts of destruction, neglect, and abuse, the Palestinian heritage has suffered a great damage. The Israeli occupation has been one of the most threatening factors which have contributed to the destruction of the Palestinian heritage through the destruction of old Palestinian places in the old city of Nablus during the invasion of Israeli forces of this old city. Israeli tanks were able to destroy many old land marks and historical places of which old bathrooms.

مقدمة الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى الخروج بتصور عن وضع التراث المعماري الفلسطيني بشكل عام وعن التراث المعماري في مدينة نابلس بشكل خاص بما فيها الحمامات في البلدة القديمة لذا لا بد من التأكيد على دور المجتمع الفلسطيني بالمحافظة على التراث العمراني الخاص به، إذ أنه يجسد القيمة الحقيقية لوجوده على أرضه وتاريخه العريق، حيث لا تكاد تخلو مدينة أو قرية فلسطينية من هذا التراث، وتزخر فلسطين بالتراث العمراني المتنوع، وإن مدينة نابلس من المدن الفلسطينية التي يوجد فيها العديد من المواقع التراثية المختلفة بما فيها

الحمامات التركية الذي لم يعطى الاهتمام بهذه المواقع للمحافظة عليها بالشكل المطلوب.

حيث استهدف تراث هذه المدينة بشكل كبير من قبل الاحتلال الاسرائيلي أولاً ومن ثم المجتمع المحلي، وقد تبين من خلال هذا البحث سوء حالة التراث العمراني في هذه المدينة لعدم وجود قانون يحمي هذا الموروث من العبث وقلة الوعي العام للفرد والمؤسسة، إذ لا بد من اتخاذ إجراءات سريعة وحاسمة في محاولة لوقف هذا التدهورلهذاالتراث العمراني والحد منه، وأخذ المناطق الأكثر خطورة والبدء فيها، وهي الحمامات التركية في البلدة القديمة ومحاولة توفير الدعم المادي والفني لترميمها لحماية هذا الإرث المعماري والزخرفي الفلسطيني.

اهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة لإظهار التراث العمراني في مدينة نابلس والتركيز على عمارة الحمامات في البلدة القديمة باعتبارها من أهم مظاهرالتراث العمراني الفلسطيني في مدينة نابلس والمهدد بالاندثار والتدمير وذلك من خلال الممارسات التي يقوم بها الاحتلال الإسرائيلي الذي قام بتدمير الكثيرمنها بالإضافة إلى قلة وجود الوعي الكافي للمواطنين الذين قاموا بهدم بعض منها، وبناء مباني حديثة لتواكب التطور والاحتياجات العصرية حيث هدفت إلى ما يلي:

- الدعوة للحفاظ على التراث العمراني الفلسطيني في مدينة نابلس بما فيها عمارة الحمامات لأنها تحافظ على الهوية الثقافية والعمرانية الفلسطينية.
- تطوير القوانين والأنظمة الفلسطينية لحماية التراث العمراني الفلسطيني بشكل عام وفي مدينة نابلس بشكل خاص .
- دعوة المؤسسات والمراكز المتواجدة على الصعيد المحلي والدولي للمساعدة في ترميم التراث العمراني والزخرفي بطرق علمية معاصرة.

إشكالية الدراسة :

إن عدم توجه السلطة الوطنية الفلسطينية بشكل عام ومن البلديات بشكل خاص وكيفية التعامل مع هذا الإرث العمراني في مدينة نابلس بما فيها الحمامات، من حيث ابقائها كما هي ، او استبدالها، أو إعادة استخدامها بعد الترميم، وغيرها من الأمور الأخرى، يساعد على تدهور التراثي العمراني بشكل عام ،وفي مراكز المدن القديمة بشكل خاص واختفاء نسيجها العمراني، كما حصل في البلدة القديمة من مدينة نابلس التاريخية وغيرها من القرى والمدن الفلسطينية.

منهجيةالدراسة :

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي القائم على تحليل الحالة الدراسية ،بالإضافة لبعض المشاهدات والتي يتم من خلالها إعطاء بعض الوصف للأماكن المستهدفة والمقابلات الشخصية.

نبذة تاريخية عن مدينة نابلس :

أسست نابلس في أواسط الألفية الثالثة قبل الميلاد على يد العرب الكنعانيين فوق تل كبير يدعى الآن تل بلاطة وقد أسماها الكنعانيون في ذلك الوقت "شكيم" والتي تعني المكان المرتفع ومن ثم أصبحت من أشهر المدن الكنعانية. صارعت نابلس الكثير من الغزاة والمحتلين عبر تاريخها الطويل فقد غزاها كل من الفراعنة المصريين والقبائل العبرية والأشوريين والبابليين والفارسيين واليونانيين والسلوقيين إلى أن سقطت بيد الرومان سنة 63 قبل الميلاد.

وفي سنة 69 - 67 م قرر الرومان هدمها للمرة الأخيرة وبناء مدينة جديدة إلى الغرب منها أسموها (بنابوليس) وقد أقاموها وفق التخطيط الروماني في بناء المدن من حيث يوجد شارعان متقاطعان ينتج عنهما أربع حارات حيث ما زالت بعض هذه الحارات الرومانية قائمة بتسميتها

صورة تظهرموقع مدينة نابلس حديثا

اليوم حارة كيسارية ، وفي سنة 636 م تم فتحها على يد العرب المسلمين بقيادة عمرو بن العاص بعد فتح غزة حيث شهدت مرحلة من الأمان والهدوء النسبي والتحول في مختلف الميادين وبقيت على هذه الحال إلى أن سقطت بأيدي الصليبيين سنة 1099م وفي سنة 1187م قام صلاح الدين الأيوبي بتحريرها وإزالة ما أحدثه الصليبيين من تغيرات فيها أثناء الاحتلال وقد بدأت المدينة في العودة إلى

ازدهارها خاصة في زمن المماليك الذين خلفوا الأيوبيين في الحكم ثم الأتراك العثمانيون الذين خلفوهم إلى أن سقطت في يد الاحتلال البريطاني سنة 1917.

وفي سنة 1950 أصبحت جزءاً من المملكة الأردنية الهاشمية وفي سنة1967 تم احتلالها من قبل الإسرائيليين وتم تحريرها في سنة 1995م، بحيث أصبحت إحدى المدن الفلسطينية المحررة في السلطة الوطنية الفلسطينية كماوصل إلينا خمسة وستون أثراً لمعالم التراث الحضاري الإسلامي موزعة على المساجد والمقامات والزوايا والخانات والقصور والأسبلة والمدارس وغير ذلك، ومما يؤسف له أن هذه الآثار قد تعرضت للتدمير والهدم والتخريب على يد الإسرائيليين إثناء هجومهم على البلدة القديمة في نابلس.

اما بالنسبة الى الاقتصاد الوطني الفلسطيني تعتبرنابلس عاصمة فلسطين الاقتصادية، و المركز التجاري والصناعي الرئيسي في الضفة الغربية إضافة لأهميتها كمركز لتبادل المنتجات الزراعية كما تشتهر بصناعة الصابون وإنتاج زيت الزيتون والمصنوعات اليدوية تنتج المدينة الأثاث والبلاط وتشتهر بمهارة حجاريها ومصانع النسيج وصياغة الحلي، وتشتهر نابلس كذلك بعمارة أسواقها، وحي القصبة في المدينة القديمة، كما تشتهر بحلوياتها وخاصة الكنافة التي تنسب أجودها للمدينة.، ازدهرت صناعة الصابون في نابلس واشتهر صابونها الذي يصنع من زيت الزيتون حتى أصبحت مصابنها جزءاً من تراث المدينة.، من أهم حلوياتها الكنافة والحلاوة المصنوعة من السمسم والكلاج والقطايف إضافة إلى الحلويات الشامية مثل البقلاوة. تعتبر نابلس أغنى المدن الفلسطينية ثقافياً وتراثياً من الألقاب التي عرفت بها نابلس (عش العلماء) ويعود نسب التسمية إلى كون نابلس مركزاً علمياً وأدبياً وأن الكثير من العلماء والأدباء والشعراء قد خرجوا منها على مدى كثير من العصور برز منها الكثير من أعلام الفكر والشعر والأدب ومن أشهر شعرائها إبراهيم طوقان وأدبائها أكرم زعيتر وعادل زعيتر وفدوى طوقان ومحمد عزت دروزة كما تحتضن نابلس جامعة النجاح الوطنية الأكبر في الضفة الغربية والتي تضم عشرين كلية.

تذكر كتب التاريخ وصف بعض الرحالة العرب لنابلس بدمشق الصغرى للتشابه مع دمشق بمعالمها ومناخها ومياهها وينابيعها وجبالها وفاكهتها وخضارها وحتى في كثير من عاداتها وتقاليدها ولهجتها وهي أكثر مدن فلسطين شبهاً وارتباطاً بدمشق وسورية منذ فجر التاريخ حيث كان تجارها يصدرون الصابون والمنتجات المحلية الأخرى لدمشق ويعودون بالأقمشة والتوابل.

وتعتبر نابلس مدينة المساجد فمنذ أن دخلها الإسلام وهي جادة في بناء المساجد التي بنى معظمها الموسرون من أهلها حيث تشير بعض الإحصاءات بأن عدد المساجد في مدينة نابلس وحدها دون قراها بلغ أكثر من سبعين مسجداً منها ما هو قديم جداً مثل جامع الخضراء الذي يمتد عصره إلى بداية العهد الإسلامي ومسجد جامع التينة وجامع ألبيك والجامع الكبير (الصلاحي) الذي كان كاتدرائية

عدد كبير من المساجد الحديثة. يروي مؤرخو المدينة أن نابلس كان لها ثماني عشرة بوابة زالت معظمها جراء التوسع العمراني الذي شهدته ابتداء من القرن

التاسع عشر ونذكر منها البوابة الشرقية، البوابة الغربية بوابة الدير، بوابة الشيخ مسلم، بوابة إدريس، بوابة سوق الحدادين ، بوابة البيك وبوابة الوكالة. في المدينة طائفة دينية يهودية هي السامره، ويسمى أفرادها بالسمرة أو السامريين ويعتقد أبناؤها بأنهم القبيلة اليهودية التائهة. عاش السامريون قبل حرب 1967 في نابلس كمواطنين أردنيين يتمتعون بكافة حريات المواطن مثلهم مثل مسلمي ومسيحي المدينة. تحوي نابلس على 2850 بناء تاريخي ومنازل وقصور عائلية و18 معلماً إسلامياً و 17 سبيلاً يعود العديد من الأماكن التاريخية المهمة إلى العهد الإسلامي وبالأخص العثماني مثل خان التجار القديم وخان التجار الجديد المدرسة الرشادية أو المدرسة الفاطمية والمنارة والمستشفى الوطني والمستشفى الإنجيلي (المبنيان القديمان) الوكالة الغربية وسجن النساء التركي وسجن القشلة

والمدرسة الهاشمية (هدمت) والمحكمة الشرعية إضافة إلى ذلك، تضم المدينة العديد من الآثار والمعالم القديمة منها بضعة مساجد أثرية (أربع كنائس بيزنطية حولت إلى مساجد بنيت في بداية العهد الإسلامي) وضريح صورة تظهر حمام الشفاء بعد الترميم وما زالت الحمامات التركية والمصابن شاهدة على قدم هذه المدينة وعراقتها، كانت نابلس تضم عشرة حمامات تركية هجر بعضها أو تضرر بفعل الإهمال بينما تحولت حمامات أخرى إلى مرافق مختلفة مثل حمام الخليلي وحمام الريشة وحمام الدرجة وحمام القاضي وحمام التميمي وحمام النساء تم خلال السنوات العشر الماضية تجديد بعض الحمامات التركية مثل حمام السمرة وحمام الشفاء وأصبحت هذه الحمامات ملتقيات للسكان من مختلف الأعمار حيث تشهد إقامة فعاليات ثقافية تعرضت المباني والمعالم التاريخية في نابلس لأضرار كبيرة من قبل الاحتلال الإسرائيلي حيث دمر 149 معلماً من هذه المعالم بالكامل بينما تعرض 2000 معلم (أبرزها جامع الخضراء الذي يقدر عمره ب 400 سنة) لأضرار متنوعة أثناء عمليات الجيش الإسرائيلي في المدينة منذ بداية الانتفاضة الثانية عام 2000م.

تعريف التراث العمراني:-

كما عُرف في مسودة ميثاق التراث العمراني للدول العربية، وحسب ما ورد في هذه المسودة هو كالتالي:

- **التراث العمراني**: هو كل ما شيده الإنسان من مدن وقرى وأحياء ومباني ومرافق وحدائق ذات قيمة أثرية أو عمرانية أو اقتصادية أو تاريخية أو علمية أو ثقافية أو وظيفية بحيث يتم القيام بتحديدها وتصنيفها كما يلي:

1. مباني تراثية وتشمل المباني ذات الأهمية التاريخية والأثرية والفنية والعلمية والاجتماعية بما فيها الزخارف والأثاث الثابت، مسودة ميثاق 2003م
2. مناطق التراث العمراني وتشمل المدن والقرى والأحياء ذات الأهمية التاريخية والأثرية والفنية والعلمية والاجتماعية بكل مكوناتها من نسيج عمراني وساحات عامة وطرق وأزقة وخدمات تحتية وغيرها، مسودة ميثاق 2003م.
3. مواقع التراث العمراني وتشمل المباني المرتبطة ببيئة طبيعية متميزة على طبيعتها أو من وضع الإنسان، مسودة ميثاق 2003م.

الأخطار التي تحيط بالتراث العمراني الفلسطيني:-

هناك الكثير من الأخطار التي تحيط بالتراث العمراني بشكل عام، وفي مدينة نابلس بشكل خاص بما فيها من حمامات في البلدة القديمة، حيث يوجد هناك أخطار سياسية واقتصادية وقانونية وغيرها من الأخطار المباشرة والغير مباشرة التي كان لها الأثر الواضح في عملية تدمير التراث العمراني الفلسطيني وهي على النحو التالي:

الأخطار السياسية:-

إن استمرار احتلال فلسطين لمدة تزيد عن 60 عاماً أثر بشكل كبير على وضع التراث العمراني الفلسطيني، فلم يكن للفلسطينيين أي سيطرة على الأرض وما عليها حتى عام 1994م عند دخول السلطة الفلسطينية، أصبح هناك سيطرة على جزء بسيط من داخل المدن الرئيسية وبعض القرى مما أتاح للفلسطينيين بعض الفرص للمحافظة على تراثهم، والاستيطان المستمر منذ ستين عاماً إلى الآن التهم الأرض الفلسطينية، حيث لم يعد المواطن الفلسطيني يجد الأرض ليقيم عليها بيته، وإن مدينة نابلس مثال حي لذلك حيث أنها محاطة بعدة مستوطنات مما يحول دون توسعها وامتدادها، ومما ساعد في اندثار وتدهور التراث الفلسطيني في كثير من مراكز المدن هو السماح للاحتلال الإسرائيلي للفلسطيني بهدم المباني القديمة واستبدالها بمبانٍ حديثة دون الحاجة للحصول على رخصة بناء.

إن المحافظة على التراث تحتاج إلى الدعم الكثير المتواصل ،حيث حدا ضعف القدرات المادية بالكثير من المواطنين دون المحافظة على هذه المباني وذلك لقلة المؤسسات المحلية والدولية التي تعتني بهذه المباني، فعمد الكثير من الناس إلى هدمها وبناء مباني جديدة مكانها لارتفاع أسعار الأراضي وأسعار مواد البناء الازمة للترميم .

الأخطار القانونية:-

إن عدم وجود قوانين فلسطينية خاصة لحماية التراث العمراني الفلسطيني وبعد عام 1995م بدأ العمل على وضع مسودة قانون تحمي الممتلكات الثقافية والطبيعية في فلسطين من قبل وزارة السياحة والآثار، ولم يصادق عليها من قبل الجهات المختصة لقلة الوعي الكافي لدى السياسيين الفلسطينيين للاهتمام بموضوع التراث الفلسطيني، وإن ترك التراث بغير حماية قانونية فلسطينية يؤدي إلى ضياعه واندثار الهوية الفلسطينية وتنص هذه المسودة على حماية الموروثات الحضارية في فلسطين والتي تجاوز عمرها خمسين عاماً، لذلك فإن القوانين القديمة كانت تحمي كل الأبنية التي شيدت قبل عام 1700م مما يعني أن كل ما هو موجود الآن من الإرث الفلسطيني ليس من المحميات مما يزيد المشكلة تعقيداً.

إن التعريف بأهمية التراث العمراني في الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية ،نرى مما سبق أن التراث العمراني الفلسطيني مهدد بالانقراض والاندثار وضياع للتاريخ والهوية الفلسطينية وتثبيت مقولة اليهود إن فلسطين هي أرض بلا شعب لأن أي شعب بدون ماضي وتاريخ ليس له وجود وان التراث العمراني لهو دليل على وجود الإنسان الفلسطيني في أرضه، لذا لا بد من العمل على تغيير نظرة الإنسان الفلسطيني لتراثه على أنه عائق للتقدم والارتقاء بمستوى المعيشة والعمل على دمجه مع احتياجات الحاضر لتخفيف الفجوة بين الماضي والحاضر الفلسطيني وأن المحافظة على التراث العمراني في فلسطين لا بد أن يكون له بعد وطني يشجع المؤسسات الأهلية والحكومية والمحلية والأفراد إلى بذل جهود مضاعفة للعناية به في مختلف مدن وقرى فلسطين لضمان وجودنا واستمرارنا على هذه الأرض المقدسة، فمدينة نابلس خاصة لها دور تاريخي هام في العهد الصليبي والأيوبي والعثماني، وهي الآن بعيدة عن ذلك الماضي، فقد تم تدمير نسيجها العمراني القديم وآثارها، وهي مثال من أمثلة كثيرة من المواقع الفلسطينية، وإن لم يتم تدارك هذا التدهور فسيندثر التراث العمراني الفلسطيني.

الحمامات موروث حضاري ومعماري إلى أين؟

تعتبر الحمامات في البلدة القديمة (نابلس) من أهم التراث المعماري وزخرفي المهدد بالاندثار والخراب بسبب المخاطرة الحديثة، وبسبب زوال الجيل القديم الذي انشأ هذه الحضارة، فقد دفع الباحثين إلى تدوينه ودراسته بغية إحيائه واستلهامه، بعد أن بات الغرب وحضارته يتهدد هذا الموروث، وباتت الحاجة ملحة إلى ترميمها وإحيائها والحفاظ عليها، إن الحضارة الحديثة تهدد الموروث من العادات والتقاليد مما يدفع إلى الحفاظ على عنصر الاستمرار في التراث الإنساني الذي هو صدى للماضي، ولكنه في الوقت نفسه صوت الحاضر المدوي .

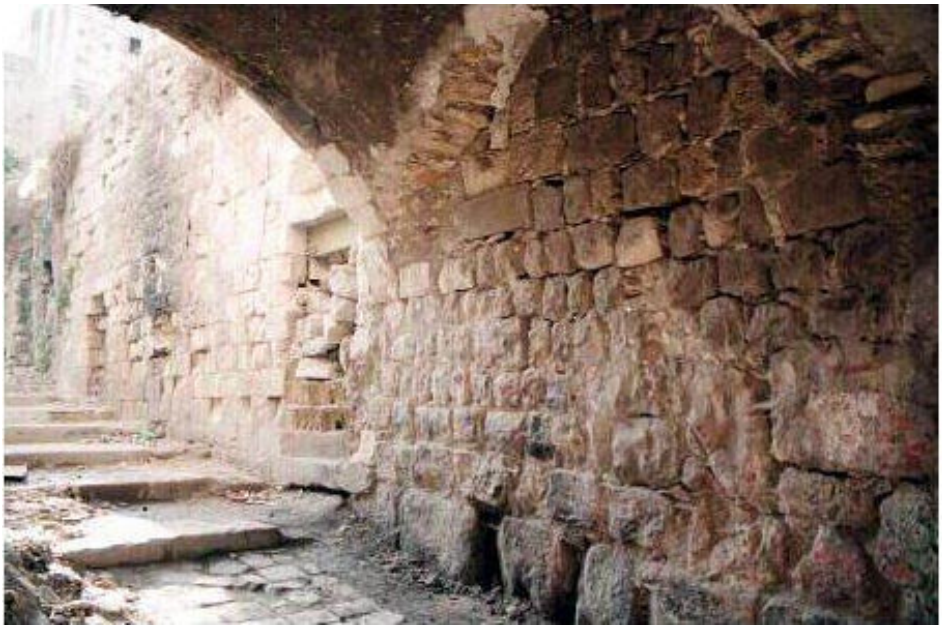

صورة تظهر مدخل حمام الشفاء قبل الترميم

إن ضياع التراث المعماري الخاص بهذه الحمامات بما فيها من زخرفة يعني ضياع بعض معالم هويتنا التراثية وحرمان أجيالنا اللاحقة من التعرف على هذا التراث، وإنا ما زلنا نمتلك فرصاً ثمينة للحتفاظ ببعض الموروثات المهددة بالضياع وخاصة المعلومات والتفاصيل الموجودة في ذاكرة كبار السن (المعمرين) وإنها سوف

تموت بموت هؤلاء المعمرين ثروة عزيزة ونادرة، وفي ومواجهة خطر ضياع هذا التراث علينا أن نعمل بكل الطرق المتاحة لحماية التراث المعماري الخاص بالحمامات، لأن التراث هو الهوية ونحن شعب نقاتل من أجل الهوية.

إن الخوف على التراث المعماري من الاندثار أو التخريب كما فعل الصهاينة المحتلين في البلدة القديمة (نابلس) يستدعي الاهتمام به والحفاظ عليه بترميمه وتعريف أصحابه بأهميته، وكذلك ليكون عنصراً فاعلاً في الحفاظ على شخصيتنا وعلى ثقافتنا والتشبث بكل لوحة وكل زخرفة موجودة في هذا الموروث لتربطنا بالأرض التي اقتلعنا منها ولكون هذه

صورة تظهرأحد أسقف الحمامات المندثرة

الحمامات معلماً حضارياً وتاريخياً يفرض علينا الاهتمام بكل ما بها من تراث معماري مليء بالعناصر الزخرفية المتميزة التي تستوجب منا الحفاظ عليها.

ماذا قيل عن الحمامات:-

يقول المؤرخ الأستاذ إحسان النمر في كتابة المختار من كتاب الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية للشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي، فلما أصبحنا في اليوم الثالث من سنة 1101 رحلتنا المباركة في الأنام جلسنا حصة في المنزل ثم ذهبنا مع جماعتنا إلى الحمام ودخل معنا على الجريجي المذكور ودخلت الأفراح علينا في ذلك بالسرور وهو حمام لطيف جليل يسمونه بحمام الخليل فوجدنا فيه النعيم في الجحيم واستعملنا فيه الماء الحميم مع الصديق الحميم.

أسباب ازدهار الحمامات في ذلك الوقت :-

عدم وجود حمامات داخل البيوت وذلك لعدم وجود شبكة أنابيب توصل المياه إلى البيوت حتى ثمانين سنة ماضية. فقد كانت المياه تنقل إلى البيوت من عيون البلد العديدة وتدعى سبل والمنتشرة في البلد القديمة وقد كان ينقل الماء أناس متخصصون بذلك يدعى السقا بواسطة قرب مصنوعة من جلد الحيوان على ظهورهم الأمر الذي كان يترك المياه داخل البيوت شحيحة عدا عن صعوبة استعمالها لعدم وجود أنابيب وحنفيات لذلك.

إستخدامات اخرى للحمامات:-

بالاضافة الى الاستخدام الرئيسي لها قد أصبح الحمام مؤسسة اجتماعية تلعب دورها في خدمت المجتمع المحلي حيث إستخدمت في :

1- كمكان للقاء الناس – وبالذات – السيدات إذا كانت الحركة والتنقل بالنسبة لهن أمراً صعباً لعدم نزول المرأة للشارع كعاملة ولسيطرة المفهوم الديني الرجعي في فترة الحكم التركي والانتداب البريطاني إذ كانت المرأة تعتبر من المحرمات وكان عليها أن تبقى في البيت أو أن تتحجب بسترة – تلبس الملايا إذا

صدف وأن خرجت من البيت – وكان حمام البلد هو المكان الوحيد تقريباً المسموح لها بالخروج إليه، وعلى هذا، فقد تحول إلى مكان الاجتماع والترفيه إذ كانت الصديقات يتواعدن على اللقاء في الحمام تدعو المرأة صديقاتها للحمام إذا أرادت تكريمهن أو الاحتفاء بإحداهن وبالتالي كانت النساء تدق الطبول والدفوف ويتحول الحمام إلى مكان للقاء والاستجمام والنزهة عدا عن كونه مكاناً للحمام.

2- نتيجة لكون الحمام المكان الصحي الوحيد للنظافة والمكان السهل للقاء فقد تحول إلى مكان تجري فيه الاحتفالات حسب طقوس معينة في مناسبات منها:-

- العرس ب. الولادة ج. ختان الطفل د. الإسراع في عملية الولادة لدى الحامل هـ. لدى أي ظرف تنذر فيه السيدة نذراً يجري تنفيذه في الحمام.

3- ولقد كان الحمام يلعب دوراً كبيراً في عملية الزواج إذ كان يجري انتقاء العروس من قبل أهل العريس من داخل الحمام.

4- ولقد كانت تتوسع دائرة معارف للسيدات بالذات ويقمن الصداقات ويتبادلن الأخبار والأحاديث وكان يقال: ما صحبة إلى صحبة الحمام.

صورة تظهرساحة لاستقبال داخل للحمام

ولقد كان الحمام مفتوحاً لكل الناس بغض النظر عن طبقتهم الاجتماعية وكان التقسيم الوحيد المتبع فيه هو تقسيم الجنس إذ كان في العادة مفتوحاً فترة الصباح وحتى أذان الظهر للرجال، عدا يومين كان طيلة النهار لهم يوم الجمعة لوحدهم - ومن الظهر حتى المغرب كان مفتوحاً للسيدات، وكان الرجل يدفع ضعف ما كانت تدفعه السيدة لنفسها ولأولادها.

ولم يكن الرجل ملزماً بأخذ مستلزمات الحمام معه إذ كان يحكم كونه بالشارع بأي لحظة يدخل أي وقت يريد إلى الحمام وهو خالٍ حيث يعطيه صاحب الحمام كل ما يلزم له. أما المرأة فقد كان عليها أن

تحضر كل مستلزماتها لأطفالها من البيت إذ كان وقت الحمام بالنسبة لها معروفاً مسبقاً ومحضراً منذ فترة.

وقد كان بإمكان الرجل أن يدخل الحمام كل يوم إذا أراد وبالنسبة للمرأة وأطفالها فقد كانت تذهب للحمام كل أسبوع فترة ما بعد الطمث مباشرة للاستحمام والتشبع عدا عن المناسبات المذكورة سابقاً.

الحمامات التي كانت موجودة في مدينة نابلس (البلدةالقديمة) هي:-

1- حمام القاضي وهو ملك دار الخماش في البلد القديمة.
2- حمام الريش وهو ملك دار الأغا في باب الساحة في البد القديمة.
3- حمام الخليل وهو ملك دار الغزاوي في البلد القديمة.
4- حمام الدرجة وهو ملك دار الغزاوي في البلد القديمة.
5- حمام البيدرة وهو ملك دار الأغا في البلد القديمة.
6- حمام السمرة في المنطقة الغربية من البلد القديمة.
7- حمام الجديدة: وهو ملك دار طوقان في البلد القديمة وهو مبني منذ 450 سنة.

حيث ان معظمها قد إندثر ولم يبقى منها إلا القليل ،وكانت جميع الحمامات لجميع الطوائف بما فيها حمام السمرة، حيث كان لكل حمام غرفة خاصة بها بركة تدعى المغطس خاصة بتسبيع السمرة إذا كانوا موجودين داخل الحمام أما إذا لم يكونوا فكانت تستعمل من قبل أي طائفة أخرى – مسلمين أو مسيحيين.

الوصف الداخلي لعمارة الحمام:

يقول الأستاذ إحسان النمر في كتابه المختار من كتاب الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية للشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي عن حمام الخليل وهو مقفل الآن – هو حمام روماني في مشلحه أعمدة وهو من ضمن الشارع الروماني الذي يمتد من باب الجامع الكبير (كنيسة بوستيناس سابقاً) حتى زفاق بلاطة والدخله إلى حمام الجديدة – المفتوحه للآن - يجد على أعلى بابه حجراً محفوراً عليه تاريخ بنائه الذي يعود إلى 450 سنة .

صورة تظهر الزخرفة الداخلية في الحمام

ثم يدخل في ممر عمودي مع داخل الحمام وحتى يحجب الرؤية عن الداخل ينفتح نهاية الممر على ساحة واسعة ذات قبة كبيرة في السقف بها فتحة واسعة للإنارة. وسط الساحة توجد بركة واسعة نسبياً وشيد

ديوان حوالي الساحة مصاطب مرتفعة من الحجر تقوم مقام الأرائك عليها فرش للجلوس في الجهة الشمالية والجنوبية من الساحة الخارجية هذه والتي تدعى المشلح البراني أو المشلح الصيفي توجد منطقتان تطلع لهما بواسطة درجتين محاطتين بسياج من الخشب وفي نهايتها مصاطب من الحجر عليها مفارش تدعى " لوج" وهناك خزانة من الحديد ومرايا على الحيطان، في نهاية الجهة الجنوبية يوجد باب صغير يودي إلى السطح والقميم حيث تشعل النار. في ثلث الحائط إلى الجنوب الغربي يوجد باب واطي نسبياً يؤدي إلى ممر به المراحيض وفي سقفه كوى للإضاءة والتهوية ثم باب منخفض آخر يوصل إلى ما يدعى بالمشلح الجواني أو المشلح الشتوي وهذا عبارة عن منطقة تساوي 3/1 مساحة المشلح الخارجي بها بركة بالوسط ومصاطب عليها مفارش على الجوانب في نهايتها من الجنوب الشمالي يوجد ممر صغير منخفض يؤدي إلى قاعة داخلية وهي مكان الاستحمام. وهذه عبارة عن صالة واسعة في صدرها حائط خلفه بيت النار وهو حوض الماء المغلي الذي

غرف الحمام داخل الحمام الرئيسي

يوجد خلفه القميم وهو مكان إشعال النار، ويمتد القميم إلى آخر الحمام بعرض حوالي متر ويدعى بلاط النار لسخونته الشديدة حيث يخرج الدخان من الجهة الأخرى.وجد أيضاً في الحائط صدر الصالة 3 أجران للماء واحد بالوسط واثنان على الجانبين وهي عبارة عن أحواض للماء من الموزاييك. على جانبي صالة الحمام توجد 6 غرف تدعى خلوة وهي دون أبواب ولبعضها أسماء هي:

المغطاس ،الخلوة البيضا ،الخلوة السحرة .

وهناك، كما في جميع سقوف باقي أجزاء الحمام كوى صغير وعديدة مغطاة بالزجاج الملون وتدعى خماري من اجل الاضاءة ولقد كان للخلوتين في صدر الحمام قيمة أكبر من الخلوتين اللتين تليانها وذلك لكون المياه فيهما أسخن منها في التي تليها وهذه أسخن من تلك التي تليها.

صورة تظهر منطقة الاستحمام بما فيها من إضاءه بالاسقف

الادوات الخاصة بالاستحمام:-

1- **الوزرة:** وهي عبارة عن قماش من الكتان المقلم بالأبيض والاحمر أو بالكحلي والأحمر توضع على الجسم بعد خلع الملابس استعداد للحمام كما تستعمل كغطاء على باب الخلوة وتحضرها السيدات من البيت معها – كباقي الأدوات – أما الرجل فتعطى له من الحمام.

2- **طاسة الحمام:** وهي عادة مصنوعة إما من الفضة أو النحاس المزخرف وكانت تستعمل من اجل اخذ الماء من الجرن وفي حالات الولادة للنساء أو الختان كان يوضع بها تعويذة عبارة عن قطعة عاج على شكل قرن ملفوف حولها بخيط خرزتان من الكارب واحدة خضراء وأخرى صفراء وتدعى جميعها قرن رعاب.

3- **كيس:-** من قماش خشن يستعمل كليفة.

4- **ليفة:-** مصنوعة من نبات اليف .

5- **صابون:-** مصنوعة من زيت الزيتون الصافي .

6- **قبقاب:-** عبارة عن حذاء مصنوع من الخشب والجلد .

7- **بشاكير:-** مصنوعة من القماش وتكون في العادة مقصبة للعروس.

8- **بقجة حمام:-** ويكون ما بداخلها كل ما يلزم للحمام وتقوم بدل حقيبة للملابس.

الأسرة القائمة على إدارة الحمام:-

1- صاحب الحمام ومهمته الإشراف على الحمام.

2- المعلمة (للإناث) ومهمتها ترتيب دخول الزائرات وإعطائهن أماكنهن.

3- لداية وهي خاصة بتحميم النفسة – المرأة الوالدة – والوليد وفي حالات الختان للطفل.

4- سيدة خاصة بالحناء والنفنوف – صبغ الأظافر.

5- العديد من السيدات للمساعدة في خلع الملابس أو لبسها أو عملية الاستحمام وحمل المناشف.

كيف كانت تتم عملية الاستحمام:-

تدخل السيدات – أو الرجال – الحمام ولدى وصولهم إلى المشلح البراني يستقبلهم شخص آخر يخلع ملابسه ويلفه بالوزرة ويعطيه صابونته وليفته وطاسة الحمام إذا كان رجلاً أما المرأة فتحضر كل ذلك من البيت. يدخل الشخص –إلى قاعة الحمام وتكون في العادة قد حجزت إحدى الغرف – الخلوات – وتحرص أن تكون قريبة من بيت النار – تخلع الوزرة لحظة دخولها الخلوة وتضع الوزرة على باب الخلوة ولتعلم من بالخارج إن الخلوة مشغولة، تأتي الحممجية أو الداية وتقدم لها بعملية البلة وهي عبارة عن بل الرأس بالماء وغسله بالصابون مرتين ثم بل الجسم بالماء وتكبيسه هذا يعني أن الحممجية تفرك لها جسمها مرتين بكيس مخصص لذلك، تترك السيدة عملية الاستحمام لفترة حسبما يروق لها وذلك من اجل أن يتخمر الجسم بأوساخه وتقوم خلال هذه الفترة إما

بالجلوس على بلاط النار ليكتسب جسمها مرونة أكثر أو الحديث مع الصديقات

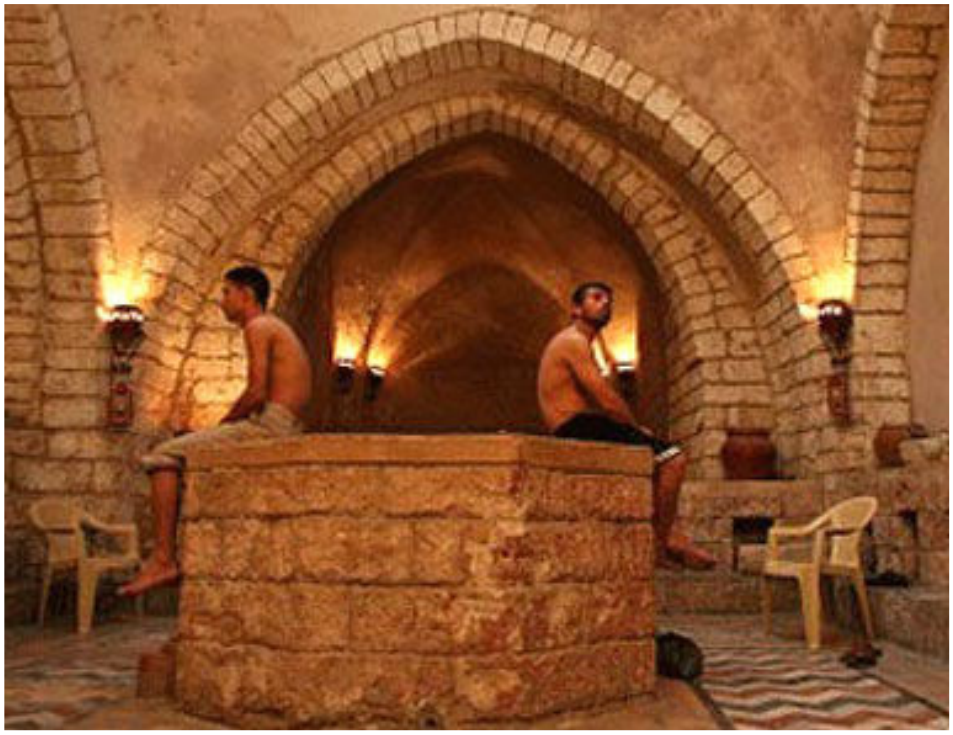

أو صورة تظهر إحدى غرف الاستحمام

الأكل أو شرب النرجيلة التي تطلب عادة من المقاهي القريبة أو غير ذلك من ألوان السرور. ثم ننتقل إلى المرحلة الثانية من عملية الاستحمام والتي تدعى الترويض وهي إعادة تحميم الرأس والجسم بعد أن يكون قد تخمر جيداً بالماء بعد البلة وتكرر ذلك عدة مرات حتى تشعر أن جسمها قد أخذ يخرج صوتاً كصوت الزجاج لدى فركه – عندما تفركه لها الحممجية. بعد الانتهاء تأتي عاملة أخرى بالمناشف وتلفها بها وتأخذها إلى المشلح الجواني حيث تتركها تستريح على إحدى المصاطب وليبرد عرقها وفي العادة يكون شراب الليمون جاهزاً لها أو

القرفة شتاء بعد أن يبرد عرقها قليلاً تؤخذ إلى المشلح الصيفي حيث تعطى ثيابها وتساعد في لبسها ثم تعطر وتأخذ حليها وفلوسها من الخزنة وتخرج لبيتها.

هذه في الحقيقة طقوس عملية الاستحمام ولكن عندما نعرف أن السيدات كن يبقين بالحمام الى أذان المغرب. نستطيع أن نتصور كل ما كان يواكب عملية الحمام من أحاديث وأكل تحضره كل واحدة وغناء وسمر يستمر ساعات ولم لا وقد كان الحمام فرحتهن الوحيدة للخروج من البيت ومشاكله.

مناسبات خاصة تقام بالحمام:-

حمام العروس: يطلب أهل العروس حجز جميع الحمام لهم ولضيوفهم قبل العرس بيوم واحد ويقومون بدعوة النساء من أهل العريس وقريباتهن وصديقاتهن إلى الحمام في ذلك اليوم. يحملن ثياب العروس الخاصة بالحمام ملفوفة ببقجة من القماش المزركش والمقصب كما يحملن أصنافاً متعددة من الأكل مثل الفطير واللحمة المشوية والمتبلات والكعك والفستق الحلبي والبزر والقضامة ويذهبن إلى الحمام حيث يصلن فرادى بعد أذان الظهر مباشرة. يكون الحمام قد زين بالزهور والشمع والقناديل. وتكون الساحة الخارجية – المشلح البراني – أكثر مكان زينة حيث تزينه البركة في الوسط أيضاً بالزهور والشموع والقناديل، بعد التجمع ووصول العروس يقدم الشراب للجميع من قبل أهل العروس ثم تمسك الصديقات بالعروس وتقوم جميع النسوة مزينات بالأزهار وحاملات الشمع على كل أصبع من أصابعهم العشرة يرقصن ويزغرتن ويغنين مع المغنيات المدعوات خصيصاً من أجل المناسبة وعلى

إيقاع الطبل والدف. وبعد أن يدور الجميع حول البركة مع العروسة عدة مرات توضع العروس على اللوج في أحد أقسام الساحة ثم يستمر الطبل والعزف والغناء والزغاريد. وهذه بعض الأغاني والزغاريد التي كانت تقال في المناسبة وهي نابعة من القيم الاجتماعية لمكانة العروس وعلاقتها بأهلها وزوجها وخصالها، **مثل:-**

1-

يا وجه القمر يا عروسة يا مدور قمر صينية
يا بيك خلالك الحمام وارخى له على الجرن ثريا

2-

عروسة مباركة علي شراها
يا ريتها مباركة على جوزها وحماها

3-

يا قمر هات العروسة يا هلال جيب العريس
والعروسة ها الجميلة والعريس عينه كحيلة

4-

آي باسم الله آي يا عروسة
يام الشمات المفروشة
آي يا شلبية يام العيون العسلية

5-

درج الحمام يا عروسه على قميصك
ليتك سبع بركات على عريسك
ودرج الحمام يا عروسة على عباتك
ليتك سبع بركات على حماتك

6 -

وروح سوق البنـدورة يا حبابه

وفلان أخذ الغنـدورة يا حبابه

وروح سوق الباميـة يا حبابه

وفلان أخذ الغاليـة يا حبابه

وروح سوق البطاطـا يا حبابه

وفلان أخذ خياطـة يا حبابه

وبعد الانتهاء من الرقص حول البركة حاملات بقجة ثياب للعروس يخلعن ملابسهن وتساعد الصديقات العروس على خلع ثيابها وتلف بوزرة مقصبة خاصة بها كما تلتف السيدات بوزراتهن ويوزع أهل العروس الصابون وينتقلن إلى قاعة الحمام المزينة أيضاً بالزهور والشموع والقناديل وحيث تتكاثر الزينة حول خلوة العروس، تتسابق السيدات المقربات لتحميم العروس حيث يأتين بطاسة خاصة مزخرفة وليف جديد وصابون مطيب. بعد أن يقمن بإجراء طقوس الحمام الأول المعروفة من بلة وتكبيس ما بين غناء المغنيات وضربهن الطبل والدفوف يخرجن جميعاً بين الزغاريد والأهازيج إلى المشلح الجواني حيث يفرد أهل العروس الطعام ويستمر الغناء أثناء ذلك.

يدخل الجميع بعد الطعام ثانية إلى قاعة الحمام حيث تجري الترويض ثم يوضع المعطرات في ماء الجرن للعروس حيث يجري غسلها به في آخر مرحلة من مراحل الاستحمام. بعد الانتهاء من تحميم العروس تكون اثنتان من الصديقات واقفتان مستعدتان بالمناشف البيضاء المقصبة والمعطرة حيث تلفان العروس وتقومان بتنشيفها ثم تمسكانها وتخرجانها

ملفوفة بالمناشف إلى المشلح الجواني محاطة بالزغارية والغناء والطبول ثم إلى المشلح الصيفي حيث يتسابق الجميع لتلبيسها ثياب الخروج ثم تترك والجميع ما بين غناء وزغارية وأهازيج.

حمام للعريس: لم تكن طقوس حمام العريس تختلف عن حمام العروس إلا بالدعوة لها والانتهاء منها والتي إن دلت على شيء فعلى شمولية موقع الرجل الاجتماعية مقارنة بموقع المرأة في ذلك الوقت فقد كان يدور رجل في شوارع المدينة يوم حمام العريس داعياً جميع أهل البلد لحضور حمام العريس. هذا واحد، وعند الخروج من الحمام، كان يخرج الجميع بزفة يمتد فيها الناس في بعض الأحيان على طول شارع البلدة الرئيسي يمضي موكبهم بالأهازيج والأغاني حول المدينة يخرج أثناءها الحلاقون ليرشوا العطر على العريس ومن حوله كلما مر بأحدهم كما يخرج أصحاب دكاكين الحلويات لتقديم الحلوى للعريس والقريبين منه كذلك حتى يصلوا إلى بيت العريس.

ومن أهازيجهم:

بعيني شفتك حاج أمين
لابس بدلة رسمية
ولما فرحت نابلس
فرحتلك الأهلية
حاج أمين وعزك دام
وأنت يا شيخ الإسلام
حاج أمين الله يديمه
حاج أمين يا عزنا
يا حامي عروبتنا

حمام النفساء أو السيدة الوالدة حديثاً: من المناسبات التي كان إخلاء الحمام فيها واجباً هي حالة النفساء، فقد كان يخلى لها الحمام سابع يوم ولادتها ويدعى أهلها وأهل زوجها كما يؤخذ الأهل عادة شراب الكراوية وبرتقال أو بطيخ كما يؤتى بالمغنيات.يدخل الجميع الحمام وبعد أن تبل النفسة تفقس لها بيضه على بلاط النار ويوضع فوقها الكمون وتجلس النفسة عليها لمدة عشر دقائق وكانوا يقولوا من أجل شد الرحم ثم تعطى بيضتان لتشربهم وأثناء ذلك يوزع الكعك على السيدات وتتم عملية الحمام كما تجري للعروس ثم تزف الوالدة والوليد إلى خارج قاعة الحمام ملفوفين بمناشفهم البيضاء المقصبة حيث تتم باقي مراحل اللبس...

ومن أغاني النفسة:

حالي يا حالـي	أمان يا حالـي
أجونا الصبيـان	وانشرح بالـي
لبست اللولـو	قلعت اللـولو
يحكوا ويقولـوا	ولى على بالـي
لبست لوليهـا	قلعت لوليهـا
قلبي هويهـا	وانشرح بالـي
لبست الشالـه	خلعت الشـالة
قامت بالسلامة	وشرحت لي بالي
لبس الدمـران	خلع الدمـران
بشروا بالصبيان	أبو فـلان غزالي

الطهور – الختان – للطفل: ختان الطفل إحدى المناسبات التي كان يخلى بها الحمام إذا كان هناك نذر بذلك. وقد كان كغيره من المناسبات، مناسبة للنسوة يتداعين ويقمن بنشاط ترفيهي عن أنفسهن وكانت تدعى لذلك المغنيات أيضاً كما كان يقدم الطعام للضيوف. ومن أغاني تلك المناسبة

أختنه يا شلبـــي وسمـي عليـه
يا دموعك يا فلان ونزلـت عليـه
اختنه يا شلبـــي وأعطيه لأبـوه
يا دموعك يا فلان يا لولـو لضموه
أختنه يا شلبـــي وأعطيـه لأمـه
يا دموعك يا فلان نزلت على ثمة
اختنه يا شلبـــي وأعطيه لعماتـه
يا دموعك يا فلان نزلت على دياته

عبر الختان يا ميمتي خبينـي افتحي الصندوق يا ميمتي لبسيني
عبر الختان بعدته ومواســه حلف الختان ما يلطع إلا بشاشـه
عبر الختان بعدته الشلبيـــة حلف الختان ما يلطع إلا بمايـة
عبر الختان بعدته والشمعـة حلف الختان ما يلطع إلا بخلعـه
عبر الختان بعدته ابجوخـة حلف الختان ما يخرج إلى بجوخة

وبعد، هذا ما سمعته من أكثر من عشر من السيدات اللواتي عاصرن فترة ازدهار الحمامات ومن بينهن بعض السيدات اللواتي كن يرافقن الغناء أو الضرب على الطبل والدفوف.

ولكن هناك أمراً واحداً عليك الحذر منه إذا أردت أن تذهب للحمام نفسه لا تقع بالخطأ الذي وقع معي عليك أن ترفع نظرك وأنت لا زلت بالشارع قبل الدخول إلى زقاق الحمام إلى رافعة خشبية فإذا كانت عليها وزرة وكنت من الجنس الخشن فادخل إن هذا يعني أن الحمام في تلك الساعة مفتوح للرجال أما إذا دخلت ونسيت أن تلاحظ أن الوزرة لم تكن معلقة فـ..... الويل لك.

خاتمة:

إن التراث العمراني الفلسطيني في خطر حقيقي، وإن لم يتم تدارك ما يحدث له فسوف يواجه الفلسطينيون مشكلة حقيقية في إثبات وجودهم على هذه الأرض وتعتبر مدينة نابلس نموذجاً من نماذج المدن الفلسطينية الكثيرة والذي تم تدميرالجزء الكبيرمن تراثها العمراني ، لذا لا بد من السعي الحثيث على جميع المستويات للمحافظة على هذا التراث العمراني وإلا سيندثر خلال سنوات قليلة، ويمكن الملاحظة من خلال المخططات المختلفة للمدينة إن الدمار الذي حل بالمباني القديمة بما فيها الحمامات كان كبيراً، لم يتمكن أحد من إيقافه والمطلوب هو محاولة وقف التجارب المماثلة لمدينة نابلس والمحافظة على ما تبقى من التراث العمراني الفلسطيني ليبقى شاهداً على عراقة هذا الشعب على مر التاريخ.

وفي الوقت الذي يحاول فيه المواطن الفلسطيني التخلص من تراثه فإن الاحتلال الإسرائيلي يقوم برش مواد خاصة على أحجار المباني في القدس الغربية لتظهر كأنها قديمة محاولة منه لإثبات وجوده على هذه الأرض من منطلق إيمانه بالمقولة الشعبية بأنه (من لا قديم له لا جديد له) ولا يخفى أن الدور الكبير الاحتلال الإسرائيلي في تدمير التراث الفلسطيني إذ ليس للمواطن الفلسطيني الحق في السيطرة على الأرض أو المصادر الطبيعية، ومحاط بالعوائق من قبل الاحتلال الذي بإمكانه تدمير أي مكان وفي أي زمان في فلسطين وفي النهاية هناك الكثير من التساؤلات التي يمكن أن تطرح منها.

- هل يستطيع الفلسطينيون كشعب محتل التحدث عن تراثهم العمراني، أم أنه ليس لهذا الشعب حق في ذلك؟
- وهل في الحقيقة يجدي هذا الحديث نفعاً في هذا الوقت العصيب، أم أن الحديث عنه كذر الرماد في العيون في ظل التدهور الاقتصادي والسياسي؟
- وهل ما زال هناك أمل في إحداث تغير في التدهور الحاصل لهذا التراث ،أسئلة تحتاج لإجابات، قد لا تكون ممكنة، أو مقنعة، أو مجدية، ولكن

في ظل الظروف العصيبة التي يمر بها الشعب الفلسطيني، فإننا نحتاج إلى وقفة جادة لتقييم وضعنا وإمكانياتنا في هذا المضمار، وإن المواثيق والاتفاقيات الدولية تضمن للفلسطينيين حق الدفاع عن تراثهم والمحافظة عليه وذالك من خلال:-

- القيام بعملية مسح ميداني شامل لتحديد مواقع التراث العمراني الفلسطيني في مدينة نابلس بخاصة تلك التي تتعرض أما إلى العدوان الإسرائيلي أو الاندثار نتيجة العوامل الطبيعية التي تهدد هذا الموروث.
- العمل على إدخال مفردات خاصة بالتراث العمراني الفلسطيني وتدريسه في الكليات المتوسطة والجامعات الفلسطينية لتعريف بة.
- استثمار التقدم التقني في الحاسوب وذلك بتصوير المأثورات العمرانية الفلسطينية من اجل الحفاظ علية .
- البحث عن مؤسسات داعمة تهتم بالتراث العمراني الفلسطيني لتعمل على الحفاظ عليه من خلال ترميمه.

المراجع :-

- الدباغ ،مصطفى ،بلادنا فلسطين ،دار الطليعة للنشر والتوزيع ،بيروت ،1971.
- جابر ،فايز،نابلس،ماضيها ،وحاضرها،دار الجليل للنشر ،عمان ،1985.
- جودة ،ديما،ورقة عن أهمية الحفاظ على الاث التاريخي لتراث العمراني الفلسطيني .جامعة القدس /معهد العالي اللاثار،2008.
- السيد، وليد،يوم التراث العالمي ومهمات حماية التراث الفلسطيني،2008/2/4.صحيفة الحياة اللندنية.
- شبانة،لؤي،2009.مؤتمر صحفي في مركز الاحصاءالفلسطيني،2009/6/26عن التراث المعماري الفلسطيني .
- المصري ،عوني،1998،نابلس في الفترة الصليبية ،دراسة اثرية معمارية،جامعة النجاح الوطنية ،1998.
- وزارة التخطيط الفلسطينية 2005 .خطة التنمية متوسطة المدى 2003- 2005
- وزارة السياحة والاثار الفلسطينية16\6\2007 السياحة نشرة لمرة واحدة.
- وزارة الاشغال العامة والاسكان ،قطاع الاسكان والبنية الاساسية في المناطق الفلسطينية ،المنتدى العربي الدولي حول اعادة التاهيل والتنمية في فلسطين، بيروت،2004.